Contemporary Studies Journal in Education and Psychology
مجلة الدراسات المعاصرة في التربية وعلم النفس
P-ISSN: 3079-773X || E-ISSN: 3080-3772 || ISI: 0.746 || SJIF: 3.251 || SAJI 1.81
Vol 1, Issue 3, September 2025

سورة مريم وتأسيس النسق التربوي القيمي: قراءة في ضوء فقه القيم

*Surat Maryam and the Formation of the Value-Based Educational Framework: A Study in Light of the Jurisprudence of Values**

د. أميمة بونخلة: دكتورة في الفكر الإسلامي، جامعة الحسن الثاني، المغرب.

***Dr. Oumaima Bounakhla**: Ph.D. in Islamic Thought, Hassan II University, Morocco.*

Email: bounakhla.2012@gmail.com

* Receiving date: 11-07-2025.
* Accepting date: 29-08-2025.
* Publishing date: 15-09-2025.

P-ISSN: 3079-773X || E-ISSN: 3080-3772 || ISI: 0.746 || SJIF: 3.251 || SAJI 1.81
Vol 1, Issue 3, September 2025

الملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على سورة مريم بوصفها مصدرًا قرآنيًا غنيًا لبناء نسق تربوي قيمي يتّسق ومقاصد الشريعة. تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن النصّ القرآني لا يزودنا بقيم عقدية وأخلاقية فحسب، بل يقدم نظريات تربوية قابلة للاستخراج والتوظيف في سياقات التربية المعاصرة، حين تُقرأ في ضوء فقه القيم ومقاصد التشريع. اعتمد البحث منهجًا تأويليًا تأصيليًا يجمع بين تحليل سياقي لسياق السورة ومضامينها السردية والبلاغية، وبين مقاربة مقاصدية تستخلص الأهداف الشرعية الكلية والفرعية ذات الدلالة التربوية. وتكشف القراءة أن سورة مريم تؤسّس لسلسلة من القيم الإيمانية والأخلاقية –كالتوحيد، والثقة بالله، والصبر على الابتلاء– التي تتصل مباشرة بمقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال والكرامة. كما تؤكد السورة على أبعاد اجتماعية وتربوية: قدوة الأنبياء والقدوة الصالحة، دور الأسرة في التربية، مكانة النساء والأمومة، وأهمية التنشئة على الطهارة والصدق والعدل. ويظهر الأسلوب البلاغي في السورة — من تصوير قصصي وتكرار وصياغة خطابية — كآلية فاعلة في ترسيخ القِيَم وتيسير نقلها عبر الأجيال. وتوصلت الدراسة إلى أن فقه القيم، من خلال النظر في سورة مريم، يوفر إطارًا منهجيًا لصياغة مناهج تربوية قرآنية تراعي المقاصد، وتُفعّل السُّنة النبوية كوسيلة تكاملية، وتربط بين المعرفة العقدية والمهارات الأخلاقية والسلوكية. وتخلص إلى توصية بدمج القصص القرآني المنهجي في المناهج التعليمية، وصياغة أنشطة تربوية تَنمّي الفهم المقاصدي لدى المتعلِّمين، لضمان استدامة القِيَم في بناء شخصية إنسانية متوازنة.

الكلمات المفتاحية: فقه القيم، مقاصد الشريعة، سورة مريم، التربية القرآنية.

P-ISSN: 3079-773X || E-ISSN: 3080-3772 || ISI: 0.746 || SJIF: 3.251 || SAJI 1.81
Vol 1, Issue 3, September 2025

Abstract:

This study examines *Surat Maryam* as a rich Qur'anic source for constructing a value-based educational framework aligned with the higher objectives of Islamic law (maqāṣid al-sharīʿah). It proceeds from the premise that the Qur'anic text does not merely impart doctrinal and ethical values; rather, it offers pedagogical structures that can be extracted and employed within contemporary educational contexts when approached through the jurisprudence of values (fiqh al-qiyam) and a maqāṣid-oriented reading. The study adopts an interpretive and foundational methodology that combines a contextual analysis of the sūrah—its narrative flow, thematic architecture, and rhetorical features—with a maqāṣid-based approach that identifies its overarching and subsidiary objectives of pedagogical relevance. The analysis reveals that *Surat Maryam* establishes a spectrum of theological and ethical values—such as monotheism, trust in God, and patience in trials—which directly correspond to the maqāṣid of preserving faith, life, lineage, intellect, property, and human dignity. The sūrah likewise highlights social and educational dimensions: the exemplary role of prophets, the centrality of righteous role models, the family's formative influence, the dignified status of women and motherhood, and the importance of nurturing purity, truthfulness, and justice. Its rhetorical style-including narrative depiction, strategic repetition, and emphatic discourse-functions as an effective mechanism for embedding values and ensuring their transmission across generations. The study concludes that applying the jurisprudence of values to *Surat Maryam* yields a coherent methodological foundation for developing Qur'an-based educational curricula that integrate maqāṣid, reinforce the complementary role of the Prophetic Sunnah, and link doctrinal understanding with ethical and behavioral competencies. It recommends incorporating structured Qur'anic narratives into educational programs and designing pedagogical activities that cultivate maqāṣid-awareness among learners, thereby sustaining a balanced and value-centered human character.

Keywords: Jurisprudence of Values, Maqāṣid al-Sharīʿah, Surat Maryam, Qur'anic Education.

المقدمة:

يعيش العالم المعاصر حالة من التحوّلات المتسارعة التي طالت البنية القيمية للإنسان، وأثّرت في منظومات التربية والتنشئة والتوجيه، حتى غدا الاضطراب في المرجعيات والمفاهيم أحد أبرز سمات المرحلة. وفي خضمّ هذا التحوّل، تتزايد الحاجة إلى إعادة بناء نسق تربوي يستلهم من الوحي هديه ومقاصده، ويستوعب في الوقت ذاته الأسئلة الجديدة التي يفرضها الواقع الإنساني. فالقرآن الكريم لم يقدَّم للإنسان باعتباره كتاب عقيدة فحسب، بل هو كتابُ هدايةٍ وصوغٍ للشخصية، يربط الإيمان بالعمل، والمعرفة بالسلوك، والغاية بالقيمة.

ومن بين سوره التي تحتضن معجمًا ثريًا بالمضامين التربوية، وتمتاز ببنية سردية محكمة قادرة على تأسيس رؤى عميقة في التربية القيمية، تبرز سورة مريم بما تحمله من مشاهد إنسانية مؤثرة، ونماذج للأنبياء والصالحين، وصور تجمع بين المعاناة والرجاء، والصبر والفضل، والخوف والطمأنينة. إن سورة مريم ليست مجرد سرد لأحداث تاريخية وقائع، بل هي نسق تربوي متكامل، تتوارى خلفه قيم إيمانية وأخلاقية عميقة، وتنعكس فيه حكمة الوحي في بناء النفس وتوجيه الوجدان وتهذيب السلوك.

ومن هذا المنطلق ينبثق الإشكال المركزي الذي تعالجه هذه الدراسة، وهو إشكال يتّصل بطبيعة النسق التربوي الذي تبنيه السورة، حين يُقرأ بنظرة مقاصدية تستنير بفقه القيم. فالسؤال الجوهري الذي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنه هو: كيف تسهم سورة مريم في تأسيس نسق تربوي قيمي، عند قراءتها ضمن منظور المقاصد الكلية للشريعة وفقه القيم باعتباره آلية لفهم الغاية والمغزى من الخطاب القرآني؟ وتتفرع عن هذا السؤال أسئلة تتعلّق بطبيعة القيم التي تبثّها السورة، وكيفيات تجلّيها من خلال البنية القصصية والبلاغية، ومدى قابلية هذه القيم للتحويل إلى مبادئ قابلة للتفعيل في التربية المعاصرة. وتستمدّ هذه الإشكالات مشروعيتها العلمية من الحاجة إلى وصل العلوم الشرعية بميدان التربية، وإلى إعادة بناء مقاربة تربوية تستمد من روح النص القرآني وعقله المقاصدي، لا من مجرد تعميمات خطابية أو شروح تقليدية منفصلة عن السياق الإنساني.

وتتبنى الدراسة على فرضية أساسية مفادها أن سورة مريم تقدم من خلال نسقها السردي، ومن خلال الإيقاع البلاغي المتدرج في عرض قصص الأنبياء وتجاربهم الإنسانية، تصورًا تربويًا يعكس مقاصد الشريعة الكبرى في الهداية والرحمة وبناء الإنسان. كما تفترض الدراسة أن اعتماد فقه القيم باعتباره منهجًا تأصيليًا يتيح قراءة جديدة للسورة، تتجاوز القراءة الوعظية أو العقدية الضيقة نحو قراءة تتفاعل مع تجارب الإنسان الكبرى في الخوف والرجاء والابتلاء والإيمان، وتستنطق القيم العملية الكفيلة بتأسيس تربية تستجيب لمقتضيات العصر دون تفريط في ثوابت الشريعة.

P-ISSN: 3079-773X || E-ISSN: 3080-3772 || ISI: 0.746 || SJIF: 3.251 || SAJI 1.81
Vol 1, Issue 3, September 2025

إنَّ المنهج المعتمد في هذه الدراسة لا يقوم على مقاربة أحادية، بل يرتكز على رؤية تكاملية تنطلق من التحليل السياقي، وتمتد إلى الفهم المقاصدي، ثم تنتهي إلى التفعيل التربوي. فالتحليل السياقي يتيح الوقوف على بنية السورة، وطبيعة الانتقال بين مشاهدها، والعلاقات الخفية بين القصص الواردة فيها، وكيفية تداخل الخطابات المتنوعة بين خطاب الوحي وخطاب الملائكة وخطاب البشر. كما يمكّن هذا التحليل من فهم الإيقاع النفسي الذي يرافق السورة، والذي يشكل بدوره مدخلًا أساسًا لبناء القيم. أما المنهج المقاصدي، فيُعنى بكشف الغايات الكلية التي تنتظم رسالة السورة، من خلال استجلاء المعاني الكبرى المتمثلة في الرحمة والابتلاء والصبر والاصطفاء واليقين، وتحويل هذه المعاني إلى منظومة قيم تربوية تتسق مع مقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والإنسان. ويهتم هذا المنهج بتحديد المفاصل التي تكشف عن مقاصد النص، والكشف عن انسجامها الداخلي، وكيفية توظيفها في بناء الموقف التربوي السليم.

وينضاف إلى ذلك اعتماد منهج استنباطي تربوي يعمل على تحويل القيم المكتشفة إلى مبادئ عملية تستجيب لأسئلة التربية المعاصرة. فهذا المنهج يتيح الانتقال من مستوى التأمل في النص إلى مستوى تنزيل القيم في واقع التربية، عبر بيان كيفية استثمار نماذج سورة مريم في بناء مهارات الوعي الذاتي، والقدرة على مواجهة الابتلاء، والتحلي بالصبر واليقين، واستحضار حضور الله الدائم في حياة الإنسان. وقد جاء اختيار هذا المنهج الاستنباطي من قناعة بأن النص القرآني لا ينفصل عن حياة الإنسان، وأن التربية القرآنية ليست مجرد خطاب نظري، بل هي ممارسة تهذيبية متصلة بالواقع، وبناء لملكة خلقية وفكرية وروحية تشهد على عمق الوحي وتجدده.

وإذا كانت بعض الدراسات السابقة قد تناولت القيم في القرآن الكريم، أو اهتمت بالقصص القرآني من زاوية بلاغية أو عقدية، فإن المقاربة التي تسعى هذه الدراسة إلى تقديمها تختلف من حيث تركيزها على سورة واحدة، قراءة وتحليلًا وتأصيلاً، ومن حيث اعتمادها منظور فقه القيم باعتباره أفقًا منهجيًا قادرًا على الربط بين النص ومقاصده، وبين القيم ومجالات تفعيلها التربوية. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في سدّ فراغ واضح في الكتابات القرآنية التربوية، وفي فتح آفاق جديدة لاستثمار سورة مريم في بناء نسق تربوي يعيد للإنسان توازنه الروحي والأخلاقي والسلوكي.

المبحث الأول: الإطار النظري لمفهوم فقه القيم

1) تعريف فقه القيم من منظور قرآني وفقهي

يُعدّ فقه القيم[1] امتدادًا طبيعيًا ومنهجيًا لعلم مقاصد الشريعة الإسلامية، إذ يركّز على البعد الأخلاقي والإنساني الكامن في النصوص الشرعية، ويكشف عن الغايات العملية التي أرادها الشرع للإنسان والمجتمع. فالشريعة –كما بيّن الإمام الشاطبي[2] في الموافقات[3]– جاءت لتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عبر حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وهو ما يجعل القيم الأخلاقية جزءًا من البنية الجوهرية للتشريع وليس مجرد أحكام وعظية عابرة. ومن هذا المنطلق، يمكن فهم فقه القيم على أنه محاولة علمية لاستنباط المقاصد الأخلاقية والسلوكية للشرع، وتحويلها إلى نسق متكامل يربط بين الإيمان، والسلوك، والخلق، بما يحقق الغاية الكبرى للشريعة في تزكية الإنسان وإصلاح المجتمع.

"فالقصد أن ينتقل الفقه من الإجابة على مستوى الحلال والحرام، إلى التأسيس للقيم ورسوخها من خلال الأحكام الفقهية العملية، والتحدي الأكبر الانتقال إلى إنتاج حلول للأزمات الواقعية والمستقبلية؛ لأن الأصل من الفقه المحافظة على كليات الشريعة ومبادئها، وقيمها الأساسية عند تطبيق الأحكام. وهذا ما يُوحيه معنى الفقه، والذي يدل على أنها مادة عميقة تتجاوز السطحية، فهو معنى ذو أبعاد غائية مفاهيمية منهجية" (المعماري، 2020: 3).

إن مصطلح "فقه القيم"، بالرغم من أهميته النظرية والعملية في ربط النصوص الشرعية بالمقاصد الأخلاقية والتربوية، يظل اصطلاحًا حديثًا نسبيًا وغير رائج في الأدبيات الفقهية التقليدية، سواء في كتب الفقه التقليدية أو في المعاجم الشرعية المتعارف عليها. فالفقهاء عبر العصور ركّزوا على تصنيف الأحكام الشرعية ضمن مباحث العبادات والمعاملات والعقوبات، ولم يفرّغوا مجالًا

[1] فقه القيم مصطلح حديث نسبيًا، لم يرد بشكل صريح في كتب الفقه التقليدية، لكنه متناثر في مؤلفات المقاصد والأخلاق، ويشير إلى استخراج القيم الأخلاقية والاجتماعية من النصوص الشرعية وربطها بالمقاصد العليا للشريعة.

[2] الشيخ الإمام، العالم العامل، القدوة، سيد القراء أبو محمد، وأبو القاسم القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، الأندلسي، الشاطبي، الضرير، ناظم "الشاطبية" و"الرائية". وكان يتوقد ذكاء. له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقه والحديث، وله النظم الرائق، مع الورع والتقوى والوقار. أنظر (الذهبي، 2001: 262).

[3] كتاب الموافقات في أصول الشريعة للحافظ إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: 790هـ/1388م) يعد من أبرز المؤلفات في دراسة المقاصد الشرعية والأحكام واستنباطها من الأدلة الشرعية، وقد اختار المؤلف في البداية تسمية الكتاب التعريف بأسرار التكليف قبل أن يغيّر الاسم إلى الموافقات. يشمل الكتاب مقدمات علمية تهيئ لفهم المقاصد، وبيان الأحكام ومقاصدها، وحصر الأدلة الشرعية، كما يعالج مسائل الاجتهاد والتقليد وآليات التعارض والترجيح والسؤال والجواب. وقد انكب عدد من المختصين على تحقيق الكتاب ودراسة نصوصه، مما جعله مرجعًا محوريًا في علوم المقاصد وأصول الفقه.

مستقلًا لدراسة القيم بوصفها وحدة منهجية مستقلة، على الرغم من أن المقاصد الشرعية التي تناولها الشاطبي وابن عاشور وغيرهم تضمّنت بالفعل مضامين قيمية واضحة، كتحقيق العدل، وصيانة الكرامة، وإرساء الرحمة، وحفظ مصالح العباد.

ومن هذا المنظور، يمكن القول إن ما نسمّيه اليوم "فقه القيم" ليس سوى امتداد وتأصيل لمقاصد الشريعة، يُعبّر عن الرؤية الأخلاقية والسلوكية الكامنة في النص الشرعي، مع التركيز على استخلاص الأنماط القيمية وتحويلها إلى إطار تطبيقي للتربية والسلوك الاجتماعي. إن إدراك هذا البعد يتيح للباحثين والمربين استثمار القرآن والسنة في صياغة مناهج تربوية ومقاربات سلوكية تتوافق مع الغايات العليا للشرع، دون أن يكون هناك اصطلاح تقليدي ثابت أو مشهور باسم "فقه القيم"، مما يجعل هذا المصطلح توصيفا منهجيًا حديثًا يسعى إلى تفعيل الترابط بين النص والمقاصد والقيم الأخلاقية في إطار واحد متكامل.

وعند النظر إلى النص القرآني، تتجلّى وظيفة القيم في القرآن بما يتجاوز حدود التوجيه الأخلاقي التقليدي، لتصبح قوة منظِّمة للسلوك الإنساني، ووسيلة لبناء شخصية متوازنة. فالقرآن، من خلال القصص والسرديات والوصايا، يقدّم نموذجًا متكاملاً للقيم الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية، بحيث تتقاطع هذه القيم مع مقاصد الشريعة العليا: حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال، والكرامة الإنسانية. ومن ثمّ، فإن فقه القيم هو إطار منهجي يربط النص القرآني بالمقاصد العليا للشريعة، ويحوّل القيم إلى أدوات تربوية واجتماعية قابلة للتطبيق في الواقع.

يتضح هذا الربط بين القيم والأخلاق والمقاصد أيضًا عند دراسة القصة القرآنية، كما في سورة مريم؛ فالشخصيات والوقائع ليست مجرد سرد تاريخي، بل تمثل أطرًا تربوية متكاملة تصوغ سلوك الفرد وتوجهه نحو الصلاح، كما تعمل على تفعيل المقاصد العملية للشرع من خلال تعليم الصبر، الثقة بالله، العدل، البرّ، والصدق. ومن هذا المنظور، يصبح فقه القيم جسرًا بين التشريع والخلق والسلوك التربوي، إذ يتيح استخراج الدروس العملية من النصوص وتوظيفها في صياغة مناهج تعليمية تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن دينًا وأخلاقًا وسلوكًا، بما يتوافق مع المقاصد العليا للشريعة.

كما يشمل فقه القيم أبعادًا تربوية واجتماعية واضحة، إذ يسعى إلى تحويل المفاهيم العقدية والأخلاقية إلى مهارات وسلوكيات عملية في حياة الفرد والمجتمع، مستفيدًا من كل من الخطاب القرآني، السيرة النبوية، والأحكام الفقهية. ويظهر هذا بوضوح عند دراسة القصص القرآني التي تكرّس نماذج القيم الإنسانية، والتي تعد بمثابة قواعد أخلاقية يُستفاد منها في التربية على القيم.

أما من منظور فقهي، فإن فقه القيم يمثل امتدادًا للمقاصد الشرعية وبيانًا لوظيفتها العملية؛ فهو علم يبحث في الغايات الأخلاقية والإنسانية التي يقصدها الشرع من خلال الأحكام، ويعمل على ربط الجزئيات الفقهية بكلياتها القيمية، بحيث تتحول الأحكام إلى أدوات لتحقيق العدل والرحمة

والمصلحة ودفع الفساد. ويتأسس هذا الفقه على أن الشريعة لم تأتِ بالأحكام منفصلة عن روحها، بل جاءت لتحقيق مقاصد عظمى تُصان بها فطرة الإنسان وكرامته. ومن ثمّ، فإن فقه القيم يسعى إلى تفكيك البعد الأخلاقي في النصوص، وضبطه بقواعد الأصول، واستثماره في صناعة الوعي وتوجيه السلوك الفردي والاجتماعي.

وبذلك، يغدو فقه القيم إطارًا منهجيًا جامعًا بين النص ومقاصده، وبين الأخلاق والتشريع، وبين البعد الإيماني والبعد العمراني، مما يجعله من أهم المفاتيح القرآنية والفقهية في تجديد النظر التربوي في سياق معاصر.

2) أهم مدارس الفكر الإسلامي التي تناولت فقه القيم

في الفكر الإسلامي، تبرز مدرسة المقاصد باعتبارها من أهم المدارس التي تلمّ بالقيم الأخلاقية على مستوى التشريع. الإمام أبو إسحاق الشاطبي يشكّل نقطة محورية في هذا الاتجاه، فقد ربط في فكره بين المقاصد الشرعية والفضائل الخلقية، موضحًا أن بعض القيم الأخلاقية تُعد جزءًا من المقاصد الشرعية نفسها، لا مجرد تحسينات ثانوية، بل أمور تُرعى عند الفقهاء ضمن مبادئ التشريع (باحمو، 2020). وهذا ما جعله من الأوائل الذين فهموا أن بناء الشريعة لا يقتصر على الأحكام الفقهية وحدها، بل يتجاوزه إلى بناء سلوك وأخلاق.

من جهة أخرى، تأثَّر فقهاء المدرسة المالكية بهذا الفهم المقاصدي في بعض ممارساتهم الفقهية، خاصة أولئك الذين اتجهوا إلى مقاربة أكثر مرونة في الاجتهاد؛ فقد بدأ بعض العلماء يُعيد النظر في قيمة المقاصد الأخلاقية كمكمل للأحكام الفقهية، وليس فقط كأحكام جزئية. هذا البُعد يسمح بفهم أوسع للشريعة، بحيث تُوظف القيم الأخلاقية في معالجة قضايا الحياة المعاصرة ضمن إطار مقاصدي واقعي، وإن لم يُستخدم المصطلح "فقه القيم" صراحة في التراث المالكي القديم.

أما مدرسة المقاصد لدى الطاهر بن عاشور، فهي تمثل تطورًا منهجيًا عميقًا في فهم المقاصد كميدان مستقل عن التفكير الأصولي. ويشير الباحثون إلى أن ابن عاشور صاغ نظرية مقاصد تضم مقاصد عامة وخاصة، ترتبط بأبعاد أخلاقية واجتماعية بعيدة المدى (على سبيل المثال، المساواة والحرية) وليس فقط بغايات فقهية ضيقة (الحسني، 1995).

هذا المنظور يعكس فهمًا أكثر ديناميكية للشريعة، حيث يرى ابن عاشور أن التشريع الإسلامي ليس مجرد نص منفصل عن الواقع، بل هو مشروع أخلاقي حضاري يستهدف تنظيم العلاقات بين الناس على أسس مقصديّة واضحة. كما أن العديد من الباحثين المعاصرين يقرّون بأن فكر ابن عاشور أسّس الأساس المنهجي الذي يمكن من خلاله بناء "فقه القيم" كممارسة فقهية تطبيقية، من

خلال ربط القيم الأخلاقية بالمقاصد العليا للشريعة، وتوظيفها في فهم الأحكام وتطبيقها بشكل يعكس غايات الشارع في إصلاح الإنسان والمجتمع.

وفق هذا الفهم، يصبح "فقه القيم" امتدادًا طبيعيًا معاصرًا لمدرسة المقاصد، بحيث لا تقتصر المقاصد على الجانب التشريعي البحت، بل تشمل بناء النفس والمجتمع عبر القيم الأخلاقية التأسيسية، وهو ما يشكل أرضية صلبة لمنهج تربوي فقهي يرتكز على الغايات العليا للشريعة.

المبحث الثاني: قراءة سياقية لسورة مريم

الموقع السوروي: مكانة السورة بين سور القرآن وأهميتها الموضوعية

سورة مريم من السور المكية، وهي تتألف من ثمان وتسعين آية، وسُمّيت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة السيدة مريم وحملها بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وما صاحب ذلك من أحداث معجزة، أبرزها كلام عيسى وهو طفل في المهد، الأمر الذي يعكس قدرة الله تعالى الخارقة وخلاف العادة في سنن الخلق (الزحيلي، 1991: 46).

وتتناسب سورة مريم مع السورة التي قبلها، سورة الكهف، من حيث عرضهما لقصص عجيبة تحمل دروسًا عظيمة، فقد اشتملت الكهف على قصة أصحاب الكهف وطول لبثهم بلا طعام ولا شراب، إضافة إلى قصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، بينما جاءت سورة مريم لتعرض معجزتين رئيسيتين: ولادة يحيى بن زكريا عليه السلام في كبر الوالد وعقم الوالدة، وولادة عيسى عليه السلام من مريم العذراء دون أب، مما يؤكد قدرة الله المطلقة في تنظيم الحياة وبناء الرسالات (الزحيلي، 1991: 46–47).

افتتحت السورة بسرد قصة ولادة يحيى بن زكريا، إذ استجاب الله دعاء والده الصالح ومنحه ولده في سن الصبا، وقد أتت الآيات الأولى [1–15] لتؤكد قدرة الله على ما يعجز عنه البشر المعتاد، مُظهرة كيف أن الوعد الإلهي يتجاوز المستحيل، ويضع القيم الروحية كقاعدة للسلوك البشري الصالح. ثم انتقلت السورة إلى معجزة ولادة عيسى عليه السلام من مريم العذراء [16–36]، موضحة دور العناية الإلهية في هذه الأحداث، إذ رافق الولادة ظهور علامات غريبة مثل نداء الطفل أمه بعدم الحزن، وتدبير الله لموقعها في المخاض مع خلق نهير وتوجيهها بهز النخل لإسقاط الرطب، لتظهر قدرة الله في تنظيم الأمور الطبيعية فوق المعهود. وقد أحدثت هذه الولادة جدلًا بين النصارى حول عيسى، وهو ما نبهت إليه الآيات [37–40] (الزحيلي، 1991: 48).

بعد ذلك، تناولت السورة جانبًا من قصة إبراهيم عليه السلام، ومناقشته لأبيه في عبادة الأصنام، وبيان نعمة الله عليه من خلال ذرية صالحة، فقد رزق إسحاق ويعقوب وهما نبيان، بعد ولادة إسماعيل، وأوضح كيف أن البركة الإلهية تشمل ذريتهم وأحفادهم [41–50]. كما تطرقت إلى موسى

ومناجاته ربه في الطور، وتعيين أخيه هارون نبيًا معه [51–53]، ثم ذكرت أداء الزكاة، وذكر إدريس الصدّيق، وما أنعم الله على الأنبياء من ذرية طيبة، لتؤكد وحدة الرسالة والغاية من الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك [54–58].

ويظهر في السورة مقارنة بين الخلف والسلف، مع بيان فساد الخلف الذين أضاعوا الصلاة وتبعوا الشهوات، في مقابل الوعد بالجنة لمن تاب وعمل صالحًا [59–63]. وقد ربطت السورة بين مفهوم الوحي وتنزيه جبريل عن نزول الوحي إلا بإذن الله [64–65]، ونقد المشركين الذين أنكروا البعث، موضحة مصيرهم في النار وجمعهم مع الشياطين [66–72]، وموقفهم تجاه المؤمنين [73–84]، مع التأكيد على تنزيه الله عن الولد والشريك. واختتمت السورة بتمييز حشر المتقين إلى الجنة وسوق المجرمين إلى النار [85–87]، والتنديد بمن ادعى لله ولدًا، والرضا عن المؤمنين الصالحين [88–98]، مع الإشارة إلى قصص إسماعيل الذي التزم بالوعد وأقام الصلاة، ما يعكس أهمية الفضائل والقيم في حياة الأنبياء والرسالات (الزحيلي، 1991: 46).

تظهر سورة مريم بوضوح كيف أن القصص القرآنية ليست مجرد سرد تاريخي، بل هي أدوات تربوية تهدف إلى ترسيخ القيم الإنسانية والأخلاقية في النفوس، وربطها بالغايات العليا للشريعة الإسلامية. فكل حدث مذكور، سواء كان معجزة ولادة يحيى أو عيسى عليهما السلام، أو مفاوضات إبراهيم مع أبيه، أو تنصيب هارون نبيًا مع موسى، يُبرز مفهوم التقدير الإلهي للإنسان، ويؤكد على ضرورة الثقة بالله والصبر على الابتلاء، والالتزام بالعدل والصدق والطهارة في السلوك الفردي والاجتماعي. ويضيف الزحيلي (1991: 46) أن السورة تقدم نموذجًا متكاملاً لفهم التشريع من خلال العقيدة والفضائل الأخلاقية، بحيث تتداخل القيم الروحية مع أفعال البشر لتصبح معيارًا للحياة اليومية، لا مجرد نصوص تتعلق بالماضي أو بالأحكام الصرف. كما أن السورة تربط بين الفرد والمجتمع، إذ يظهر أن الالتزام بالقيم المقاصدية، مثل البر بالوالدين، وحفظ الأمانة، والصدق في القول والعمل، يضمن استمرار التكافل الاجتماعي والرحمة بين الناس، ويشكل حماية ضد الانحراف والفساد. ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار سورة مريم مصدرًا غنيًا للدرس الأخلاقي والتربوي، إذ تقدم قصص الأنبياء كنماذج عملية يمكن للإنسان أن يستلهم منها قيمه وسلوكه، وتربط بين المعنى العقيدي والبعد الأخلاقي والاجتماعي، ما يجعلها أساسًا متينًا لتطوير مناهج تربوية قائمة على المقاصد والقيم، بما يخدم بناء شخصية متوازنة ومجتمعًا صالحًا.

تُظهر سورة مريم أن القيم الاجتماعية والأخلاقية ليست مجرد مبادئ نظرية، بل أدوات عملية لبناء مجتمع متماسك يسوده الاحترام والتكافل. فالرحمة تتجلّى في تعامل الإنسان مع الآخرين، وتُبرز قدرة الفرد على التعاطف والتسامح، سواء في نطاق الأسرة أو المجتمع الأكبر، وهي صفة محورية في سير الأنبياء الذين قدموا نماذج حيّة للتفاعل الرحيم مع الناس.

وبالموازاة، يبرز بر الوالدين كقيمة أساسية تربط بين الفرد ومصدر حياته الروحي والمادي، وتؤكد السورة أن الاحترام والتقدير لهما يتجاوز الطاعة الشكلية إلى الالتزام بمبادئ العدالة والرحمة في التعامل اليومي. ومن خلال هذه القيم، تُقدّم السورة نموذجًا تربويًا متكاملاً، حيث تتقاطع الأخلاق مع الحياة العملية، وتصبح الفضائل قوة محركة لتقويم السلوك الفردي والجماعي، بما يرسخ الوعي بالمسؤولية تجاه الذات والآخرين ويعزز أسس مجتمع يسوده التكافل والعدل والرحمة.

المبحث الثالث: استخراج وتحليل القيم في سورة مريم

1) القيم الإيمانية، الصبر على الابتلاء، والثقة بالله

تُبرز سورة مريم قيمة الصبر على الابتلاء باعتبارها فضيلة جوهرية في بناء الشخصية الإيمانية[1]، حيث يظهر الصبر في مواقف متعددة للأنبياء، مقدمةً نماذج عملية للمؤمنين. ففي قصة زكريا عليه السلام، تجلت قيمة الصبر على طول الدعاء والاعتماد على الله بالرغم من تقدم السن وضعف الجسد، كما جاء في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا} [مريم: 4]. لقد برز زكريا كنموذج للإيمان العميق والثقة بالقدرة الإلهية، مظهراً أن الصبر العملي يتضمن الثبات على الدعاء والاعتماد على الله في كل الظروف، وهو درس مهم في مواجهة التحديات الحياتية.

وتتجلى هذه الفضيلة أيضًا في قصة مريم عليها السلام، حيث صبرت على الابتلاء العظيم المتمثل في حملها بعيسى عليه السلام من دون أب، وتحملت المخاض بمفردها وهي في أقصى درجات القلق والخوف، كما ورد: {فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا} [مريم: 22]، و{فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا} [مريم: 23]. وتأتي الآية التالية لتؤكد رحمة الله وتثبيت النفس، إذ قال الله لمريم: {قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكِۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكِ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا} [مريم: 47]، وهو ما يوضح أن الصبر مصحوب باليقين والتوكل على الله قادر على تحويل الابتلاءات إلى منجزات روحانية وتعليمية عظيمة.

[1] يردُ ذكرُ الصبر في سورة مريم بوضوح في الآية الخامسة والستين، حيث يأمر اللهُ نبيَّه بالمواظبة على العبادة والاصطبار لها، أي تحمّل مشاقّ الطاعة والثبات عليها حتى الممات. وتربط الآية بين عبادة الله وضرورة الصبر عليها، في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾، وهو توجيهٌ إلى لزوم طاعته والخضوع لأمره ونهيه، وحمل النفس على الامتثال الدائم. وقد بيّن الطبري أن الاصطبار يعني ملازمة النفوذ لأوامر الله والانتهاء عن نواهيه طلبًا لرضاه، إذ هو الإله الذي لا مثيل له ولا شبيه في جوده وكرمه (تفسير الطبري: 310). وتتجلّى معاني الصبر في السورة من خلال القصص التي تعرضها، مثل قصة زكريا ويحيى ومريم عليها السلام، حيث تتجسد فيها عبادة الله والثبات على طاعته في مواجهة الابتلاءات، فيغدو الصبرُ قيمةً محوريةً في البناء التربوي القيمي الذي ترسمه السورة، رابطًا بين الإيمان العميق والعمل الصالح والاحتمال الراسخ لما يواجهه المؤمن من تحديات.

كما يوضح القرآن أن الصبر يمتد إلى مواجهة التحديات الاجتماعية والدعوية، كما في قوله: {وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا} [مريم: 48]، وهو موقف يعكس الثبات على المبادئ والقيم الإيمانية في مواجهة الضغوط الاجتماعية أو الإكراهات الخارجية. هذه القصص جميعها تُظهر أن الصبر في سورة مريم ليس مجرد تحمل نفسي، بل هو فضيلة متكاملة تربط بين الثبات الروحي، والاعتماد على الله، والتحلي بالقيم الإيمانية في مواجهة الابتلاءات، مما يجعلها نموذجًا تربويًا متكاملاً لبناء الشخصية الصالحة والمجتمع القائم على الفضائل.

تتجلّى **قيمة الثقة بالله** في سورة مريم من خلال مواقف الأنبياء العظام (العيسى، 2018)، حيث يظهر التوكل على الله كقاعدة أساسية في حياتهم، واستنادهم إلى قدرته المطلقة في إدارة شؤونهم. فزكريا عليه السلام، وهو في مرحلة الشيخوخة، خاطب ربه بدعاء صادق مفعم باليقين والاعتماد الكامل على الله، إذ قال: "رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا" (4)، معبّرًا بذلك عن ضعفه البشري وقلة حيلته أمام المستحيلات الطبيعية، لكنه في الوقت نفسه أظهر يقينًا لا يتزعزع بأن قدرة الله تتجاوز كل حدود، وأن الدعاء المخلص سبيل لتحقيق المستحيل. واستجابة الله له جاءت مؤكدة على حكمة التوكل والاطمئنان إليه، فقال تعالى: "يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا" (7)، ما يعكس أن الثقة بالله ليست مجرد شعور نفسي، بل اعتقاد راسخ في وعد الله وقدرته المطلقة، وأن ما يعجز عنه البشر يكون يسيرًا عند الله. وهذا ما تؤكده الآية: "كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا" (9)، إذ تظهر أن الثقة بالله هي اعتراف بالقدرة الإلهية المطلقة وتوكل المؤمن عليها دون ريب أو خوف.

وفي شخصية مريم عليها السلام نجد نموذجًا آخر متكاملاً للثقة بالله في المواقف العصيبة، حيث حملت بعيسى عليه السلام دون أن يمسها بشر، ولم تشك في قدرة الله أو رحمته، بل آمنت بقدرته في خلق المعجزات. فقد جاءها الوحي قائلاً: "قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَة لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَة مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرا مَّقۡضِيّٗا" (21)، وهي الآية التي توضّح أن الثقة بالله تأتي مصحوبة بالطمأنينة واليقين بأن أمره مقضي، وأنه قادر على إنجاز ما يتعذر على البشر. وعندما شعرت مريم بالضيق أثناء ولادة ابنها، قالت: "يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيا مَّنسِيّٗا" (23)، فجاءها الرد الإلهي الطمأنيني: "أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا" (24)، مما يبرز كيف يرتبط التوكل على الله بالصبر والاعتماد عليه في مواجهة المصاعب، مع التصديق بوعده وتحقيق مقاصد الرحمة والبركة.

ولا تقتصر قيمة الثقة بالله على الأنبياء الأفراد، بل تتجاوز لتشمل المجتمع كله، كما يتضح في وعد الله للمؤمنين الصالحين: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا" (96)، حيث يوضح أن الإيمان بالله والثقة به تترجم عمليًا إلى نتائج إيجابية ملموسة في حياة الفرد والمجتمع،

وتضمن تحقيق الصلاح العام، ويُظهر أن التوكل لا يعني السلبية أو الانفصال عن العمل، بل يعني استناد العمل إلى قدرة الله وتدبيره، مع الثقة بأن أقدار الله كلها خير.

من خلال هذه النماذج، يتضح أن الثقة بالله في سورة مريم ليست مجرد شعور داخلي أو نزعة عاطفية، بل هي قاعدة مقاصدية تربط بين اليقين بالله والعمل الصالح والصبر على البلاء، وهي دعامة أساسية لتحقيق الحياة الطيبة، والفلاح الفردي والاجتماعي، والاطمئنان إلى قدرة الله على تيسير الأمور المستحيلة للبشر، وتحقيق المقاصد العليا للرحمة والبركة والعدل الإلهي في الكون.

2) القيم الاجتماعية والأخلاقية :الرحمة، البر بالوالدين.

قيمة الرحمة ذكرت في سورة مريم في عشرين موضعا، وكان اسم الجلالة "الرحمن" منها في ستة عشر موضعا، والرحمة في أربعة مواضع منها: (المزيدي، 2023: 25) ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾. (18)، وكذلك: ﴿**فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾ (26).

ورد **اسم الرحمن في القرآن الكريم 57 مرة، ونصيب سورة مريم منها 16 مرة. وهذا العدد يدعو الباحث للوقوف على أسراره. هذا التوزيع العددي يثير أسئلة عميقة حول الحكمة الإلهية والعلاقات الدلالية أو التفسيرية، مما يستحق البحث والتدبر. إن تكرار اسم الرحمن في هذه السورة الشريفة، التي تحمل طابعًا دلاليًا واضحًا، يبرز العلاقة الخاصة بين هذا الاسم ورحمة الله، من خلال قصص كقصة زكريا ومريم وعيسى عليهم السلام، حيث تتجلى الرحمة الإلهية في المواقف العصيبة** (ديوسالر، 2025: 89).

يشير التكرار الملحوظ لاسم الرحمن في سورة مريم إلى عمق البُعد الإلهي والروحي في هذه السورة، حيث لا يقتصر دوره على كونه وصفًا، بل يمثل مفتاحًا لفهم كيفية تجلي الرحمة الإلهية في أحداث استثنائية تتجاوز حدود العادة الإنسانية.

فالقصص المعروضة، من ولادة يحيى بن زكريا في الشيخوخة إلى ولادة عيسى من مريم العذراء، تقدم أمثلة حيّة على قدرة الله المطلقة ورحمته الشاملة، وتوضح كيف يُوجه المؤمنين للثقة بالقدر الإلهي والتسليم لحكمة الله في المواقف الصعبة. كما يُبرز هذا الانتشار العددي للاسم ارتباطه بالقيم الأخلاقية والروحية التي تسعى السورة إلى ترسيخها، بما يشمل الصبر على الابتلاء، والاعتماد على الله، واليقين بأن التدبير الإلهي يتجاوز كل حدود البشر، ما يجعل التدبر في هذه الآيات وسيلة لفهم المعاني العميقة للتوحيد والرحمة في الإسلام.

وُخّصت سورة مريم باسم الرحمن؛ لأنها سورة الخوارق المذهلة التي تدهش العقل البشري، مثل ولادة عيسى من غير أب وإنجاب يحيى بن زكريا في الشيخوخة، فاحتاجت إلى اسم يُجسّد القدرة المطلقة مع الرحمة الشاملة (ديوسالر، 2025: 91).

اسم الرحمن في سورة مريم يعكس أيضًا الوظيفة الدلالية للنص القرآني، حيث لا تقتصر الأحداث المعجزة على إثارة الدهشة، بل تهدف إلى توجيه الفكر والتدبر في قدرة الله على الخلق والابتكار. من هذا المنطلق، يمكن اعتبار السورة منصة لفهم العلاقة بين التدبير الإلهي والقيم الروحية، فهي تقدم سياقًا لتعليم الإيمان بالقدر والاعتماد على الله في المواقف الصعبة، وتبين أثر التزام الإنسان بالقيم الأخلاقية في حياته اليومية.

كما تمنح القصص القرآنية فرصة لاستشراف البُعد الاجتماعي والتربوي، إذ تُظهر كيف أن أحداث الماضي تحمل رسائل مستمرة تعزز الوعي بالمسؤولية الفردية والجماعية، وتدعو إلى تقدير النعم، والتمسك بالفضائل، والاعتبار بالرحمة الإلهية في كل شؤون الحياة.

تبرز سورة مريم مكانة **قيمة بر الوالدين** كقيمة أساسية في المنظومة الأخلاقية الإسلامية، حيث تتجلى هذه الفضيلة في عدة مواضع تربوية ورمزية ضمن السورة. فقد بدأت السورة بسرد قصة يحيى بن زكريا، الذي استجاب الله دعاء والديه الصالحين ومنحه ولده في كبر العمر، وهو ما يعكس العلاقة الوثيقة بين طاعة الوالدين والدعاء المستجاب، ويبرز فضل الاحترام والتقدير لهم. كما أن قصة مريم تؤكد دور النشأة الأسرية الصالحة في ترسيخ القيم، إذ تربت مريم في كنف الرعاية والبر، ما أتاح لها أن تتحمل الابتلاء العظيم بمواجهة المخاض والوحدة دون جزع، مستندة إلى الإيمان والاعتماد على الله.

أما كلمة البر والتي نتحدث فيها عن بر الوالدين فلم ترد في كتاب الله إلا في سورة "مريم" في قول يحيى وعيسى، كما قال ربنا: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم: ١٤)، وفي قوله عز وجل: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم: ٣٢) الغاية إذا من هذا البر هو أن يبذل الابن قصار جهده في أن يتوسع في الخيرات والعطاءات، وأن يقوم بواجبه تجاه والديه، إلى أن يصل بذلك إلى درجة الإحسان (جامعة المدينة العالمية، 2010: 50).

وعبر هذه القصص، تُظهر السورة أن بر الوالدين لا يقتصر على الطاعة الشكلية، بل يمتد إلى تقدير جهودهما، والاعتراف بنعمة الله التي تتمثل في ذريتهما، والاقتداء بهديهما في التربية على الفضائل. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن السورة تربط بين الإيمان بالله وبر الوالدين، باعتبارهما عنصرين متلازمين في بناء الشخصية الصالحة، وإرساء مجتمع يرتكز على الاحترام المتبادل، والتكافل، والرحمة، ما يجعل هذه القيمة أحد الأعمدة الأساسية للتربية القرآنية التي ترسخ الأخلاق السامية في حياة الفرد والمجتمع.

كما تُظهر سورة مريم أن الأنبياء كانوا نموذجًا متكاملاً في تجسيد بر الوالدين كقيمة أساسية، فهو صفة ملازمة لهم منذ الصغر وحتى البلوغ. فزكريا عليه السلام لم يقتصر بره على طاعة والديه، بل حرص على تحقيق أمنياتهما المشروعة والدعاء لهما باستمرار، مما يعكس عمق العلاقة الروحية والالتزام الأخلاقي تجاه الوالدين.

ومريم عليها السلام جسدت الاحترام والرعاية في كل مراحل حياتها، بما في ذلك تحمل الصعاب في سبيل طاعة الله، وهو ما يدل على أن البر لا يتوقف عند حدود الطاعة الظاهرة، بل يشمل الصبر والتفاني في المسؤوليات الأخلاقية تجاه الأسرة. كذلك إبراهيم عليه السلام، مع موقفه الحازم ضد عبادة الأصنام، حافظ على حقوق والديه في الحياة الكريمة والتقدير الإنساني، مؤكداً أن الالتزام بالقيم العليا لا يتنافى مع الوفاء بالواجب نحو الوالدين. ومن هذا المنظور، يصبح بر الوالدين عند الأنبياء والصالحين صفة متكاملة تجمع بين الطاعة، والاحترام، والحكمة، وتشكل نموذجًا عمليًا يُحتذى به في التربية القرآنية للأفراد والمجتمع.

المبحث الرابع: استثمار سورة مريم في التربية على القيم

1) أثر السورة في بناء الشخصية الإنسانية وفق القيم القرآنية

تُعد سورة مريم من السور القرآنية الغنية بالقصص والدروس، وهي تمثل نموذجًا متكاملًا في التربية على القيم. إذ تقدم حياة الأنبياء والصالحين كمنهج عملي لبناء شخصية الإنسان، معززة بالثقة بالله والتوكل عليه في مواجهة التحديات والابتلاءات. من خلال سرد قصصهم، يكتسب المتربّي فهمًا عميقًا لأهمية الاعتماد على القوة الإلهية في تحقيق المستحيلات، مع إدراك محدودية الإنسان أمام قدرة الخالق، مما ينمي لديه روح التواضع والصبر في آن واحد. هذا البعد التربوي يجعل الفرد أكثر وعيًا بأن النجاح الحقيقي لا يكون إلا حين يلتزم بالقيم الإلهية، وأن التوازن النفسي والاجتماعي ينبع من الانصياع للحكمة الإلهية في حياته اليومية.

تستثمر السورة مفهوم القدوة الحسنة في بناء الشخصية، فهي تعرض نماذج متعددة من الأنبياء وأمهاتهم وأسرهم، ليكونوا مرجعًا عمليًا للإنسان في سلوكه وأخلاقه. فمن خلال الالتزام بالصدق والصبر والاستقامة في القول والفعل، يتعلم المتربّي أن القيم القرآنية ليست مجرد شعارات نظرية، بل هي منهج حياة ينعكس على سلوكه في المجتمع. كما تعكس هذه النماذج كيف أن الإنسان يمكن أن يحقق التوازن بين الروحانية والممارسات اليومية، فتصبح شخصيته متكاملة، قادرة على مواجهة التحديات بحكمة ووعي.

تعزز السورة كذلك قيمة الأمل في النفس البشرية، إذ تظهر أن الدعاء والاعتماد على الله يمكن أن يغير مسار الأمور مهما بدت مستحيلة. هذا البُعد التربوي يغرس في الفرد شعورًا بالاطمئنان

والأمان، مع إدراك أن الاجتهاد والعمل الصالح هما السبيل لتحقيق النتائج المرجوة، وأن النتائج النهائية بيد الله وحده. ومن هنا، يكتسب المتربّي روح المثابرة والصبر، ويصبح قادرًا على التعامل مع الفشل أو الانتكاسات بطريقة متزنة، مع استمراره في السعي نحو تحقيق الخير والمصلحة العامة.

كما تسهم السورة في ترسيخ قيمة الإخلاص في العمل والعبادة، فتوضح أن أي جهد يُبذل بقصد خالص لله يكون له أثر دائم في بناء الشخصية الإنسانية. عندها يصبح الفرد مدركًا أن نجاحه الروحي والمادي مرتبط بتوافق أفعاله مع المبادئ القرآنية، وأن حياته اليومية يجب أن تعكس هذه القيم في كل تفاصيلها. هذا الوعي ينعكس على انضباطه الذاتي، واحترامه للآخرين، وتحقيقه للتوازن بين مطالبه الشخصية وواجباته الاجتماعية، مما يعزز شعوره بالمسؤولية تجاه ذاته ومجتمعه.

تساعد السورة على فهم أهمية الرحمة والاعتدال في التعامل مع الآخرين، فهي تعرض مواقف الأنبياء الذين تصرفوا بالحكمة والموعظة الحسنة مهما كانت الظروف صعبة. ومن خلال هذه النماذج، يتعلم الإنسان أن التعاطف مع الآخرين واحترام حقوقهم والابتعاد عن الظلم يمثل ركيزة أساسية لبناء مجتمع متوازن قائم على القيم الأخلاقية والروحية. كما أن إدراك هذا المفهوم يعزز من قدرة الفرد على التعايش مع الآخرين بطريقة سليمة، متسامحة، ومتوازنة، بعيدًا عن الغرور أو التعصب.

تركز السورة أيضًا على التواضع والاعتراف بالضعف الإنساني أمام قدرة الله، وهو ما ينعكس مباشرة على سلوك الفرد في حياته اليومية. إدراك الإنسان لمحدوديته يجعله أكثر استعدادًا للتعلم والتوجيه، ويحفزه على البحث عن المعرفة والتعامل مع التحديات بعقل متزن وروح صافية. هذا الفهم يمنح المتربّي قدرة على التكيف مع مختلف المواقف، ويجعله أقل عرضة للغرور أو التعالي، وأكثر تمسكًا بالقيم الأخلاقية والروحية التي تشكل أساس شخصيته الناضجة.

علاوة على ذلك، تسهم السورة في ترسيخ مفهوم المسؤولية الفردية والجماعية، فهي تبرز أهمية العمل الصالح في خدمة المجتمع والالتزام بالقيم التي تنمي الصدق والأمانة والعدل. فالإنسان الذي يتربى على هذه المبادئ يصبح عنصرًا فاعلًا في مجتمعه، قادرًا على المساهمة في بناء نظام اجتماعي مستدام قائم على التكافل والرحمة. وبذلك، تتكامل شخصية الفرد بين الجانب الروحي والجانب الاجتماعي، ويصبح مؤهلًا لتحمل المسؤوليات ومواجهة التحديات المجتمعية بوعي ونضج.

وبذلك توفر السورة إطارًا تربويًا شاملًا يجمع بين القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية، وهو ما يجعلها أداة فاعلة لبناء الشخصية الإنسانية المتكاملة. فالاعتماد على الله، الإخلاص في العمل، الرحمة، الصبر، المسؤولية، التواضع، والعدل، جميعها قيم متجسدة في السورة، تمنح المتربّي القدرة على العيش في مجتمع متوازن، مع الحفاظ على توازنه النفسي والروحي، ويمكّنه من العطاء والإبداع والالتزام بالمبادئ القرآنية في جميع جوانب حياته.

تتيح سورة مريم أيضًا فرصة لتطبيق هذه القيم في الحياة اليومية، سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة أو المجتمع الأوسع. فالمتربّي يتعلم كيف يكون قدوة حسنة، وكيف يتصرف في مواقف الحياة المختلفة وفق المبادئ القرآنية، مما يخلق جيلًا واعيًا يمتلك القدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة، وتحمل المسؤولية، والتفاعل بإيجابية مع تحديات العصر ، ليصبح قادرًا على بناء مجتمع يسوده العدل والقيم الإنسانية الراقية.

2) فقه القيم كأساس للمقاربة التربوية في المدارس والمجتمع

تقوم المقاربة التربوية المبنية على فقه القيم على إدراك أن التربية ليست مجرد نقل للمعارف، بل هي بناء متكامل لشخصية الإنسان، تنسجم فيها الروح والعقل مع الممارسة اليومية. فالأهداف التعليمية في المدارس يجب أن ترتبط بقيم أخلاقية وروحية تهدف إلى تكوين الفرد، لا مجرد السعي لتحقيق نتائج كمية في الامتحانات. هذا الفهم يجعل من التربية عملية شاملة، تهدف إلى تكوين شخصية متوازنة، قادرة على اتخاذ القرارات الصائبة، والتفاعل بإيجابية مع محيطها الاجتماعي، مع الاحتفاظ بالالتزام بالمبادئ الأخلاقية والروحية التي تشكل الأساس لمستقبل متماسك ومستنير .

إن فقه القيم يوجه المنظومة التربوية نحو بناء الوعي الأخلاقي في نفوس المتعلمين، بحيث يصبح كل فعل دراسي أو تربوي فرصة لغرس قيم الصدق، والإخلاص، والعدل، والرحمة. فالمدرسة، عندها، تتحول من مجرد فضاء لتلقي المعارف إلى حاضنة للروح الإنسانية، تهيئ الطلاب ليس فقط للنجاح الأكاديمي، بل للحياة برؤية متكاملة، تتسم بالمسؤولية الاجتماعية والانضباط الذاتي. هذا التوجه يجعل التربية أداة فعّالة لتشكيل مجتمع مبني على قواعد أخلاقية راسخة، بعيدًا عن الانفلات القيمي أو الانحرافات السلوكية.

كما يتيح فقه القيم للمتعلم فهم أبعاد القرارات والتصرفات الإنسانية في ضوء المقاصد العليا، وليس مجرد النتائج الظاهرة. فالتربية هنا تتجاوز التعليم التقليدي، لتشمل تنمية القدرة على التفكر في المعاني، واستشراف عواقب الأفعال، وتحليل المواقف من منظور شامل يربط الفرد بالخير العام والمصلحة المستدامة للمجتمع. ومن هذا المنطلق، يصبح الطالب قادرًا على مزج المعرفة النظرية بالقيم العملية، فيصبح سلوكه انعكاسًا حيًا لما تعلمه من المبادئ الأخلاقية.

ويعطي أهمية كبرى لمفهوم القدوة في التربية، حيث يكون المعلمون والأسرة والمجتمع مرجعًا عمليًا للطالب. فالقيم لا تُكتسب بالكلمات وحدها، بل بالممارسة اليومية والملاحظة المباشرة لسلوك الكبار والصالحين. وعليه، يصبح المتعلم مدركًا أن الالتزام بالقيم ليس ترفًا فكريًا، بل أساسا للنجاح الفردي والاجتماعي، وأن سلوكه الأخلاقي يعكس مدى فهمه واستيعابه لهذه المبادئ.

تؤكد المقاربة التربوية المبنية على فقه القيم على ضرورة إدماج القيم في جميع مكونات المنهاج الدراسي، بحيث يصبح كل درس وفرصة تعليمية مناسبة لغرس مبادئ الأخلاق والواجبات. فالرياضيات، والعلوم، واللغة، والفنون، يمكن أن تُستغل لنقل مفاهيم العدل، والدقة، والصبر، والتفكير النقدي. هذا الإدماج يجعل العملية التعليمية أكثر عمقًا، ويعزز قدرة الطالب على ربط المعرفة بالقيم، مما يرسخ في نفسه الشعور بالمسؤولية تجاه ذاته وتجاه المجتمع.

ولا يغفل فقه القيم عن دور التربية في تنمية القدرة على الصبر والثبات أمام الابتلاءات والتحديات، فالقيم مثل الصبر، والإحسان، والاعتدال تُكسب الفرد القدرة على مواجهة الضغوط والمصاعب بطريقة متوازنة. فالمدارس والمجتمع، من خلال تطبيق هذه المبادئ، تهيئ الإنسان ليكون متماسكًا نفسيًا وروحيًا، قادرًا على اتخاذ القرارات الصائبة في الظروف الصعبة، مع الحفاظ على التزامه بالقيم الجوهرية التي تشكل هويته الإنسانية.

ويشمل فقه القيم أيضًا تنمية الحس النقدي والتمييز بين الحق والباطل، والتفكير في نتائج الأفعال قبل القيام بها. فالتربية هنا ليست تلقينية، بل تحفيزية، تشجع الطالب على التفكر، وتحليل المواقف، واختيار السلوك الصائب وفق القيم الأخلاقية والروحية. هذا النهج يجعل الفرد أكثر وعيًا، ويعزز قدرته على مواجهة التحديات المعقدة في المجتمع المعاصر، مع الحفاظ على اتزانه الداخلي وانسجامه مع المبادئ العليا.

الخاتمة:

تمثل سورة مريم مرجعًا غنيًا للنسق التربوي القيمي، إذ توفر إطارًا متكاملاً لفهم التربية الإسلامية على ضوء مقاصد الشريعة. فهي لا تقتصر على سرد القصص والوقائع التاريخية، بل تتجاوز ذلك لتؤسس لبنية تربوية تهدف إلى بناء الشخصية الإنسانية وفق قيم القرآن، مثل التوكل على الله، والرحمة، والصدق، والصبر، والعدل، والاعتدال في الحياة. إن هذه القيم تشكل الدعائم الجوهرية التي يقوم عليها نسق تربوي متكامل يربط بين المعرفة والوعي والسلوك، بين الفرد والمجتمع، وبين الدين والحياة اليومية، بما يحقق الغاية الكبرى من التشريع، وهي الحياة الطيبة والعيش المستقيم.

قراءة سورة مريم وفق فقه القيم تتيح تفعيل البعد العملي للتربية، فالمواقف القرآنية المتمثلة في صبر مريم وعزم إبراهيم وإيمان يحيى تظهر كيف يمكن للقيم أن تتحول من مجرد مفاهيم نظرية إلى سلوك عملي يمس حياة الفرد والمجتمع. وهذا التحول يضمن أن التربية القيمية لا تبقى في حيز الخطاب الأكاديمي أو الوعظي، بل تصبح منهج حياة يعزز الثقة بالله، ويرسخ الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، ويعطي للفرد قدرة على اتخاذ القرارات الصائبة في ضوء المبادئ الإسلامية.

يربط النسق التربوي القيمي المبني على سورة مريم بين الفرد والمجتمع، فيغرس روح التعاون والتراحم، ويعزز قيم العدالة والإنصاف، ويؤصل الاحترام المتبادل بين الناس. فالمجتمع الذي تتجذر فيه هذه القيم يصبح قادرًا على مواجهة التحديات، واستيعاب التنوع والاختلاف دون اضطراب، ويحقق نوعًا من التوازن بين المصالح الفردية والجماعية، بما يضمن الاستقرار الاجتماعي والاستدامة الأخلاقية.

ولا يمكن إغفال أن فقه القيم يوفر أدوات منهجية لتمكين التربية من التكيف مع متغيرات العصر، مع الحفاظ على الثوابت والمقاصد العليا للشريعة. فهو يوجه التربية نحو تحقيق مصالح الإنسان ومجتمعه، ويدعمه في اختيار السلوك الذي يؤدي إلى رفعة الذات والمجتمع معًا، بما يجعل القيم الإسلامية حية وفعالة في ضمير الإنسان وفي سلوكه اليومي. ومن هنا، يظهر دور سورة مريم ليس فقط كمرجع قصصي، بل كنموذج تربوي متكامل يعكس مقاصد الشرع في حياة الإنسان.

وقد أظهرت الدراسة كذلك أن التربية القيمية المستوحاة من سورة مريم تؤسس للوعي النقدي والفكري لدى المتعلم، وتمكنه من التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، كما تنمي فيه قدرة التفكير في نتائج أفعاله، وتحفزه على التمسك بالاستقامة، ومواجهة الصعوبات بثقة بالله وعزم على الصلاح. فالنسق القيمي هنا لا يغرس مجرد تقاليد أخلاقية، بل يطور قدرة الفرد على الحكم الذاتي، واتخاذ القرارات الصائبة في ضوء مقاصد الشريعة، ليكون الإنسان قادرًا على مواجهة التحديات المعاصرة.

تشكل سورة مريم أساسًا متينًا لتأسيس نسق تربوي قيمي متكامل، حيث يجتمع البعد الفردي مع البعد الاجتماعي، ويترابط التوجيه الأخلاقي مع التطبيق العملي، بما يحقق التوازن بين المعرفة والسلوك، بين العبادة والعمل، وبين الوعي بالقيم والعيش بها في المجتمع. ومن هذا المنطلق، يصبح الاستثمار التربوي في سورة مريم وقراءة أحداثها وفق فقه القيم وسيلة فاعلة لتعزيز الشخصية الإنسانية، وبناء مجتمع صالح مستند إلى مقاصد الشريعة في نشر الخير والعدل والرحمة، وتحقيق الحياة الطيبة على أرض الواقع.

قائمة المراجع والمصادر:

- البكوري، عبد الجليل (2024): المناهج التعليمية ومقاصد التربية الإسلامية: دراسة في تأصيل نظرية المناهج التعليمية، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مجلد 4، عدد 5. https://doi.org/10.56989/benkj.v4i5.872
- بوزيد، مصطفى (2024): التربية السليمة في ضوء مشاهد السيرة النبوية: مفهومها وأسسها وأساليبها وخصائصها، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مجلد 4، عدد 5. https: //doi.org/10.56989/benkj.v4i5.858
- جامعة المدينة العالمية. (2010): منهاج التفسير الموضوعي (الجزء 2). المدينة المنورة: جامعة المدينة العالمية
- الجمل، محمد كامل (2023): مقومات التربية الأمنية في ضوء السيرة النبوية، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مجلد 3، عدد. https: //doi.org/10.56989/benkj.v3i3.92
- الحسني، إسماعيل. (1995): نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور. سلسلة المنهجية الإسلامية، المجلد 15 من سلسلة الرسائل الجامعية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- ديرا، محمد (2024): ديداكتيك الوسائل التعليمية والموارد الرقمية ودورهما في تدريس مادة التربية الإسلامية، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مجلد 4، عدد 4. https://doi.org/10.56989/benkj.v4i8.1150
- ديوسالر، فرهاد. (2025): "سر التكرار: دراسة في تجليات اسم الرحمن في سورة مريم". سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد 10، العدد 4. مؤسسة ترنيم للتنمية والإبداع.
- الزحيلي، وهبة. (1991): التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط1، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي. (1997): الموافقات (تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد). الطبعة 1، الرياض: دار ابن عفان.
- الشمري، عقيل بن سالم. (د.ت): تدبر سورة مريم، ط1، الرياض: معهد الإمام الطبري لعلوم القرآن، دار الحضارة للنشر والتوزيع.
- العدوي، مصطفى بن. (2005)" التسهيل لتأويل التنزيل: تفسير سورة مريم في سؤال وجواب، ط1، مكة: مكتبة مكة.
- المزيدي، زهير منصور. (2023): دليل قيم سورة مريم. الكويت: شركة القيم الإنسانية للاستشارات الاجتماعية والمؤسسة العربية للقيم المجتمعية.